صورة حية

سار في الدرب وحيدًا ...

كلما مر به يوم من العمر مضى من بعده مستقبلاً يومًا جديدًا...

وتمر السنوات...

جمع الأموال حتى نال منها ما أراده "وزياده"...

وإذا أطلقها تمضي وتأتي مشتهاها..

سار في إثر خطاها..

قائلاً: إيه إن الأنس في درب الدعارة..

إنه دربٌ مليء بالإثارة..

وله جو مشوب بالحرارة...

تنعم النفس بلا قيد فما وجه القذارة؟!

عاش أيامًا طويلة ..

هذه تغري وكم من غيرها تبدو جميلة..

كانت المتعة في وفرتها تبدو قليلة...

قط لم يرو غليله ...

نفسه التعساء ما زالت عليلة..

زوجه في البيت تشكو من جفاه

وتعاني ما تراه

لم تجد في بيته طعم الحياة

صرخت في وجهه أنت قد فارقتنا منذ زمان

جثة لا روح فيها لا حنان

غادر البيت ولم يأت المساء

واختلى بالندماء

رفقاء الشقاء

وشكى الحال فقالوا: إن تجد فيها لما تأمر طاعة

واصطبارًا وقناعة

أو فطلقها ولا تصبر عليها بعض ساعة

بدأ التفكير في هذا المساق

هل سيكون الحل حقًا في الفراق؟

من سيرعى بعدها طفلاً صغيرًا؟

من سيحنو فوقه عطفًا إذا اشتد بكاه؟

من سيرويه حنانًا وأمانًا من شذاه؟

أين جاهي أين هذا المال في وجه العذاب؟

هل تولى كل شيء كالسراب؟

أيها المهموم حاول

ضاعف البحث عن العيش الهني

لا تخف أي مقابل

إنهم قالوا بأن الخمر تجلو كل غمة

وهي خير من فراق الطفل أمه

ومضى يتجرع كاسات الضياع

همه يزداد يومًا بعد يوم، ليس في الخمر متاع وانتفاع

هاهنا اختل نظامه

صارت الدنيا كما الليل أمامه

طالعته المشكلات

أثقلته التبعات

وتولى خطوات

زادت الفرجة عن أمس اتساعًا

ابنه ... زوجته بالفقر ضاعا

لم يعد يملك في الدنيا متاعًا

كل شيء قد تداعى قد تداعى

صار ممقوتًا ومديونًا وبين الناس محرجْ

ذلك العمر المبهرجْ

قد تدحرج قد تدحرج

بدأ التفكير يرجو أي مخرج

إن في الموت لهذي النفس راحة

إنها في الانتحار

هل تراني سوف أنسى الهمَّ بعده؟

هل تراني أجد البهجة عنده؟

لا. فابني سيضيع

وإذا عاش يتيمًا من سيرعاه؟

وهنا رقَّت النفس وجاشت بالبكاء

جاءه في هذه اللحظة بعض الأقرباء

إيه ماذا بك تبكي؟ فيقول

كيف لا وقد ضاع مالي وعزي وملكي ومري

مضى في همه ينشد حلمه

غير أن الدهر قد قاومه من غير رحمة

راحتي في الموت دعني أقتل نفسي

حبذا أُلقي على طفلي قبل الموت نظره

ضمَّه في عطف وحنان

ثم راحا يبكيان

وهنا دوى صوت الأذان

أقبل الناس إلى المسجد من كل مكان

دخل المسجد والناس ما بين ساجد وراكع

وهنا من يتلو القرآن والآخر سامع

إنه يشعر بالأنس ويغشاه الأمان

وتلاشت هاهنا أوهامه مثل الدخان

هاهنا الراحة لا توجد في أي مكان

ثم قاموا للصلاة

إنها فاتحة العمر وميلاد حياة

والدموع صبغت خده ومحياه

والنشيج لا تكاد تسمع إلاه

خرجوا بعد الفريضة

إيه كم ضيعت عمري كالسراب!

كم تجرعت العذاب!

كم تحملت الصعاب!

تبًا لك من حبة صغيرة ولكن لك ألف ناب

فتح الباب فألقى بنفسه بين يديها

راح يبكي كالصغير

ذهلت الزوجة ذلك الجبار يبكي!

نظرت فيه وقالت: ما الحكاية؟

ومضى في غبطة يروي لها ما قد عزم

قد بدا منه الندم، قد بدا منه الندم

وأصاخت تسمع أحلى حكاية

شرح الله فؤادي للهداية

وانتهى عهد الغواية

غير أني هذه المرة لي أقدس غاية.

إنها صورة مليئة بالأشجان، تروي المآسي تارة وأخرى تحكي دموع الإيمان، إنها تكشف صفحات الألم المحرق، وتعود لتبدد الظلام المطبق لتجلو نور الأمل المشرق.

كثيرٌ هم الذين يسيرون في دروب الحياة يفتشون منحنيات الطرق ومداخل الأزقة بحثًا عن السعادة، فيقفون عن البحث إذا توافر المال أو حازوا السيادة ظانين أن هذا هو آخر المطاف، والتفتيش عن غيره إسفاف، وبهذا التفكير الخاطئ حاولوا أن يمتطوا ظهر كل شيء، ليصلوا إلى الغاية المنشودة، فإليها كيف يصلون؟ وعن طريقها كيف يكسبون؟ ثم ماذا؟ كان من الوسائل للوصول ذالكم السم الوبيل (المخدرات) وبئس السبيل فتعاطوها وأدمنوها وروَّجوها وهرَّبوها فكانت السيادة الموهومة والأموال المشوبة.

نعم نالوا ما يريدون ولكن بصورة مؤقتة، ثم أصبحت حياتهم

مشتتة، فطريق المخدرات أوله دلع، وأوسطه ولع، وآخره هلع، ضياع وانحراف، فساد وانجراف، فشل ورذيلة، عذاب وجريمة.

هـــذا ســـلاح مـــن الأعـــداء غايتـــه
ألا تعـــود إلـــى أمجادهـــا النجـــب
كـــم حيـــة صـــغرت فـــي حجمهـــا قتلـــت
حـــرًا وأرخـــص فـــي تهريبهـــا الـــذهب

ومنهم من يتدارك الأمر ويحاسب نفسه بقية العمر.

أي يـــوم مـــن المـــوت أفـــر
يـــوم لا قـــدر أو أمـــر قـــدر
يـــوم لا قـــدر لا أرهبـــه
ومـــن المقـــدور لا ينجـــي الحـــذر

فعاد إلى الله القلب الصغير، وبكى على الماضي المرير، طالبًا الصفح من المولى القدير.

إلهـــي لا تعـــذبني فـــإني
مقـــر بالـــذي قـــد كـــان منـــي
ومـــا لـــي حيلـــة إلا رجـــائي
وعفـــوك إن عفـــوت وحســـن ظنـــي
فكـــم مـــن زلـــة لـــي فـــي البرايـــا
وأنـــت عليَّ ذو فضـــل ومـــنِّ
إذا فكـــرت فـــي نـــدمي عليهـــا
عضضـــت أنـــاملي وقرعـــت ســـني

فوجد التائب السعادة، وتلذذ بالعبادة، ومني العاصي بالشقاء، ولا زال يبحث عن المال والسيادة.